

الأديب و المفكر الراحل رمضان عبد الرحمن لاوند سيد المنابر

برنامج

في رحاب القرآن - 103

مقدمة البرنامج ..

مؤثرات

سعيد : إلى متى هذا الصمت يا سالم ؟!

سالم : لست أدري .

سعيد : إذا كنت لا تدري فعليك على الأقل أن تسمع لمن يدري .

سالم : ومن هو الذي يدري في دنيانا هذه ؟

سعيد : اسمع يا سالم .. لو لم يكن في هذه الدنيا من يدري ويعي بما يفعل لما كانت لنا هذه الحضارة ولما بنينا

هذا البناء الضخم الذي تستمتع الملايين بثمراته .

سالم : أتحدثني عما تصنعه الآلة وتحققه التكنولوجيا وأنا أحدثك عن الإنسان ؟! أنت في عالم وأنا في عالم آخر

..

سعيد : وهل تعتقد أن التعامل مع الطبيعة والحياة هو طريق مسدود أمام من يريد التعامل مع الإنسان ؟! ..

سالم : ولكنني لا أرى الطريق ! إنني لا أعلم من أين وإلى أين ؟ كل ما أسمعه هو افعل هذا ولا تفعل هذا ..

تقدم هنا وتأخر هناك .. هذه تمر وتلك لا تمر .. فأفعل وأمتنع عن الفعل وأتقدم ثم أتأخر ثم أمر وأتوقف ..

وأبقى من بعد غريباً عن كل ما أفعل .. فأنا غير موجود بالنسبة إليه ..

سعيد : وما الذي تريده على التحديد يا سالم ؟

سالم : ما أريده أنا ؟ حسن جداً .. أريد أن أكون حراً في صنع ما أصنع .. أتكلم حين أجد رغبة في الكلام ..

وأسلك الطريق التي يروق لي سلوكها .. أفكر متى أشاء .. وأضحك متى أشاء .. وأبكي حين يجلو لي البكاء ..

سعيد : ومن الذي يمنعك من هذا يا سالم ؟

سالم : الجميع .. أنت وهو .. وأبي وأمي والناس كلهم .. كلهم يريدون أن يظهروا أمامي بمظهر الواعظ .. كلهم يحاولون أن يستعمروا قلبي .. أن يصوغوا عقلي .. أن يحددوا لي طريقي .. وأنظر في نفسي فلا أجد فيها غير دمية تحركها أيدي الآخرين ..

سعيد : هل تريد الحق يا سالم ؟.

سالم : لا أريد غير الحق ..

سعيد : أنا لا أرى هذه العبودية التي تشكو منها .. ولا أجد ما يمنعك من أن تكون حراً فتفكر بعقل حر وتنفع بقلب حر وتختار الطريق بإرادة حرة .. أما ما تسمعه من المواعظ والتوجيهات وتعتبره تدخلاً في شؤونك الخاصة وتجاهلاً لحرمتك فهو في حقيقته إعلان عن ضياع ثقتك بالواعظين والناجحين والموجهين.

سالم : لست أدري .. كل الذي أعرفه أن على كل منا أن يستقل بصنع نفسه وصوغ تفكيره واختيار الطريق التي يريد ... إنني أريد شيئاً واحداً يا سعيد .. هو أن أكون حراً .. إذ لا تقدم ولا ازدهار .. ولا نمو في الحقيقة والواقع إلا بالحرية ..

سعيد : هل تسمع مني للمرة الأخيرة يا سالم !؟

سالم : قل وأنا سامع ..

سعيد : وتعمل بما أقوله لك مرة واحدة وحسب !؟ ..

سالم : وماذا يضيرني أن أعمل بما تقوله وإن الفريق تحت سليل من المواعظ والأقوال والتوجيهات .. فما خوفي من الملل بعد ذلك ؟

سعيد : تشاركني في حضور ندوة مفتوحة للحوار يديرها أستاذ ذو خبرة وعلم وفضل ..

سالم : هل عدنا إلى عالم الكبار الذين يصرون على توجيهنا نحن الصغار !؟ ..

سعيد : ألم تعدني بالعمل بما أقول مرة واحدة !؟ ..

سالم : بلى ..

سعيد : اذاً تعال نحضر معاً ندوة هذا اليوم .

نقلة موسيقية

محمد : أيها الأبناء معنا أخ لكم تفضل مشكوراً بمشاركتنا في ندوة اليوم . إنني إذ أعرب عن إعجابي برغبته في المعرفة وتوقه الشديد إلى الخروج مما يعتبره سجنًا له أتمنى مخلصاً أن نصل إياه في درب مشترك إلى ما يريد ونريد ..
سالم : أستاذ محمد .. هل تريد الحقيقة ؟ أنا شاب متعب .. لقد تعبت من الاستماع إلى توجيهات الآخرين ونصائحهم .. وقد قررت أن أختار حياتي بنفسى ..

محمد : حسن يا بني .. هل تعتقد أن هذا التعب الذي تشعر به شيء طارئ أم أنه رافقك منذ فتحت عينيك على الدنيا؟! ..

سالم : بل هو شيء طارئ ولكنه ليس حديث العهد .

محمد : تصور يا سالم لو أنك خرجت إلى هذه الدنيا ثم لم تحظ برعاية الأم وتضحية الأب وخدمات المجتمع .. ولم يكتب لك أن تقلد الناس من حولك .. فتلبس كما يلبسون وتأكل كما يأكلون هل كانت تكتب لك الحياة؟! ..

سالم : طبعاً لا ..

محمد : إذاً فقد خلقت منذ البداية خاضعاً لقوانين المجتمع مرتبطاً في وجودك بأساليبه محتاجاً في كل شؤونك إلى خدماته .

سالم : هذا صحيح ..

جاسم : وليس هذا وحسب يا أستاذ محمد .. الحقيقة أن كلا منا كان منذ زرع في رحم أمه ماء مهيناً خاضعاً لسنن النمو والحركة في الوجود وضرورات الظروف التي تحيط به ..

صالح : بل هناك ما هو أكثر من ذلك .. إن كلا منا كان وهو ما يزال احتمالاً بعيداً في لوح القدر مرتبطاً بمسؤولية معينة نحو خالقه فهو لا يستطيع فكاًكاً منها وتحرراً من اسارها لأن الفكك هنا يعني خروجاً على منطق الخلق نفسه وسنة الوجود .

محمد : أحسنت يا صالح ..

صالح : نجد مصداق ذلك في قوله تبارك وتعالى : " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن نَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ " ..

سالم : هذا يعني يا أستاذ محمد أنني خلقنا في الضرورة ودرجنا في طفولتنا في الضرورة وسنبقى فرائس الضرورة ثم لا تكون لنا حرية العمل والتفكير والسلوك بالضرورة أيضاً ..

محمد : كلا يا بني .. لعن أستدرجتكم جميعاً في هذا الحوار لأشهدكم على دور السنن والضرورات والأوضاع التي صنعت كلاً منا وهيأت له أسباب الوجود ، فقد فعلت ذلك لتفهم أنت بالذات يا سالم أنك جزء من وجود عام وإرادة عليا يعود إليهما الفضل في أنك هذا الشاب الفتي الممتلىء بالحيوية والأمل والرغبة في الحرية ..

سالم : ولكن أين هي هذه الحرية التي تتحدث عنها يا أستاذ محمد ؟

محمد : حريتك يا بني مضمونة شرط أن تعلم تماماً أين أنت ممن حولك ومما حولك .. وأن تدرك تماماً أين تستطيع أن تتصرف بحرية وتختار وأين يجدر بك أن تلتزم لما هو أكبر منك وأعلم منك ..

جاسم : يبدو أن أخاننا سالما يخلط بين الحرية والفوضى ..

صالح : أو لنقل يخلط بين الحرية الواعية الواقعية وبين الحرية في أن يعترض سنن الحياة وأن يتجاهل الحقائق اليقينية التي مدت أمامه آفاق المعرفة وعينت له وسيلة الاختيار ..

سالم : الحقيقة أنني أتيت لأفهم .. ولكنني لم أفهم ما سمعته من الأخوين صالح وجاسم ..

نقلة موسيقية

الراوي (1) : وهنا ينبري الأستاذ محمد فيقول : المسألة بسيطة يا سالم .. إذا كنت توافق على أن خلقتك وطفولتك ومنجزات السلوك والتفكير والأخلاق والعواطف قد تكونت لك كلها بفضل المجتمع الذي نشأت فيه والرحم التي خرجت منها والمسؤولية التي ترتبت عليك منذ كنت ذراً في الأصلاب فعليك أن تعترف بأن الحرية هي خارج هذه الاعتبارات والقوانين ..

الراوي (2) : ثم يضيف قائلاً : وهذا لا يعني يا سالم أن من تعايشهم من الكبار هم دائماً على حق .. إنهم بشر مثلك .. يجتهدون فيصيبون ويخطئون .. وأنت أيضاً بشر تجتهد فتصيب وتخطيء . ومن واجبك أن تجري حواراً دائماً مع نفسك ومع عالم الكبار بحرية مسؤولة تامة وهذا الحوار هو الذي يساعدك على اختيار الطريق وصوغ الأفكار والتعبير عن العواطف ..

الراوي (1) : وجواباً عن سؤال سالم : " ما هو المقياس الذي يجب أن نستعين به " ؟.

يقول الأستاذ محمد : هنا يا بني تعين بدقة وعلى التحديد معنى حريتك وحدودها .. هناك أصول وحقائق كبرى جاءت بها كتاب الله .. فهي لنا بمثابة ينبوع الذي نلجأ إليه ونستمد منه خطتنا في الحركة والتقدم .. نحن أحرار على أن نستعين بما في هذا ينبوع من الحقائق الكبرى .

الراوي (2) : ثم يضيف قائلاً : هنا في وسعك أن تصنع حياتك وأن تصوغ أفكارك وأن تواجه القضايا التي تبرز في كل يوم بما تملك من العلم واليقين اللذين جاءا إليك من عند الله .. فلا تلبث أن تشعر بالطمأنينة حين أنت موصول الصلة بالله ربك واثق من رعايته مؤمن بالمنهج الذي وضعه لك والذي أثبتت تجارب الإنسان أنه المنهج الوحيد المنفق مع فطرتك السليمة ..

نقطة موسيقية .

سالم : هل تقول لي إذاً ما الذي يدفعني إلى الاحساس بالتمزق والقلق؟! وهل تعتقد أنني أفتعل القلق الذي أتحدث عنه؟! ..

محمد : كلا يا بني .. أنت لا تفتعل ولا تتصنع ولكنك افتقدت الصلة التي تشدك إلى ما وراء عالم الكبار .. إنك لا تتذكر غير أخطاء هذا العالم .. ولا ترى غير مواطن الضعف فيمن سبقوك في المجيء إلى هذه الدنيا .. فلو أنك لجأت إلى منهج الله وتعاليمه في قرآنه ونهضت لمسؤوليتك في الفهم والتفهم والتعلم والتعليم لأحسست بكامل حريتك في صنع حياتك ...

جاسم : ألا ترى يا أستاذ محمد أن ضعف الثقة بالإنسان وتجاهل حق الإنسان في أن يصيب ويخطيء هما اللذان يدفعاننا إلى النقمة على الآخرين؟! ..

محمد : بلى يا جاسم .. فعلى كل منا أن يفهم بأن من حق كل إنسان أن يقول رأيه وأن يخطيء ويصيب في تعيين طريقة تعامله مع الآخرين ..

سالم : لكن الذين يعتبرون أنهم أحكم مني وأعلم لا يسمحون لي بأن أشاركهم في حريتهم في الحوار وفي حقهم في أن يخطئوا ويصيبوا .

محمد : هذا شيء أعرفه .. لكن واجبك أنت هو أن تعمل على إقناعهم بحقك في الوقت الذي تحفظ فيه حقهم عليك في التأدب معهم والاتصاف بمكارم الأخلاق .

صالح : المهمة صعبة جداً .. أليس كذلك؟

محمد : هي صعبة ولكنها ليست مستحيلة التحقق .. وهل البر الذي حدثنا عنه الآية القرآنية غير الخلق المتصف بالصبر والمصابرة في البأساء والضراء وحين البأس ؟ وهل تعتقدون يا أبنائي أن المعرفة وقف على جيل معين من الناس ؟ كلا .. إن الحرية التي تطالبون بها هي حرية مستضيئة بنور الله متسلحة بالإحساس بالمسؤولية مستندة إلى مكارم الأخلاق ..

سعيد : الآن وقد عرفنا معنى الحرية المسؤولة وعلاقة صاحبها بالمجتمع وارتباطها بالمنهج الإلهي موصوفاً في قرآنه فقد بقي أن نعرف حقيقة أخيرة ..

محمد : وما هي يا سعيد ؟

سعيد : إنها هذه الحرية التي ينادي بها المفكرون والأدباء وفئات المثقفين المتأثرين بمبادئ الفكر الأجنبي وقيمه الغنية والتي يعبر عنها بشعار " الفن للفن " أو ما تسمى بالصدق الفني ..

محمد : أعتقد أننا قد مررنا بهذا الموضوع في جانب من الندوة السابقة .

سعيد : وهل ما يمنع من العودة إليه وتوضيح أبعاده وتفصيل ما جاء مجملاً في الندوة السابقة ؟

محمد : كلا يا سعيد .. أرجو أن نبتدىء ندوتنا القادمة بإلقاء ضوء على هذا الموضوع إن شاء الله .

موسيقى نهاية